

أفلاطون والتقليد الأسطوري
في الفكر السياسي

هذه السلسلة

في سياق الرسالة الفكرية التي يضطلع بها "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات"، وفي إطار نشاطه العلمي والبحثي، تُعنى "سلسلة ترجمان" بتعريف قادة الرأي والنخب التربوية والسياسية والاقتصادية العربية إلى الإنتاج الفكري الجديد والمهم خارج العالم العربي، من طريق الترجمة الأمينة الموثوقة المأذونة، للأعمال والمؤلفات الأجنبية الجديدة أو ذات القيمة المتجددة في مجالات الدراسات الإنسانية والاجتماعية عامة، وفي العلوم الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية والثقافية بصورة خاصة.

وتستأنس "سلسلة ترجمان" وتسترشد بآراء نخبة من المفكرين والأكاديميين من مختلف البلدان العربية، لاقتراح الأعمال الجديرة بالترجمة، ومناقشة الإشكالات التي يواجهها الدارسون والباحثون والطلبة الجامعيون العرب كالافتقار إلى النتاج العلمي والثقافي للمؤلفين والمفكرين الأجانب، وشيوع الترجمات المشوّهة أو المتدنية المستوى.

وتسعى هذه السلسلة، من خلال الترجمة عن مختلف اللغات الأجنبية، إلى المساهمة في تعزيز برامج "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" الرامية إلى إذكاء روح البحث والاستقصاء والنقد، وتطوير الأدوات والمفاهيم وآليات التراكم المعرفي، والتأثير في الحيز العام، لتواصل أداء رسالتها في خدمة النهوض الفكري، والتعليم الجامعي والأكاديمي، والثقافة العربية بصورة عامة.

أفلاطون والتقليد الأسطوريّ في الفكر السياسيّ

تاي-يوون كيوم

ترجمة
حازم نهار

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies



الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

كيوم، تاي-ييون

أفلاطون والتقليد الأسطوري في الفكر السياسي / تاي-ييون كيوم؛ ترجمة حازم نهار.

392 صفحة؛ 24 سم. - (سلسلة ترجمان)

يشتمل على بيبليوغرافية (صفحات 359-384) وفهرس عام.

ISBN 978-614-445-767-2

1. الأفلاطونية. 2. الفلسفة اليونانية. 3. السياسة - فلسفة. أ. نهار، حازم (مترجم). ب. العنوان.

ج. السلسلة.

184

هذه ترجمة مأذون بها حصريًا من الناشر لكتاب

Plato and the Mythic Tradition in Political Thought

by Tae-Yeoun Keum

Copyright © 2020 by the President and Fellows of Harvard College

عن دار النشر

Harvard University Press

This edition is published by arrangement with Harvard University Press

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن

اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies



شارع الطرقة - منطقة 70

وادي البنات - ص. ب: 10277 - الطعائن، قطر

هاتف: 00974 40356888

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174

ص. ب: 11 4965 رياض الصلح بيروت 1107 2180 لبنان

هاتف: 00961 1 991837 8 فاكس: 00961 1991839

البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org

الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى

بيروت، أيلول/سبتمبر 2026

إهداء إلى

دونغ-ييون لي (Dong-Yeoun Lee) وإن-هو كيوم (In-Ho Keum)

المحتويات

شكر وتقدير	9
مقدمة المترجم: أفلاطون وراهنية العلاقة بين الأسطورة والسياسة	13
مقدمة: إرث أفلاطون ومشكلة الأسطورة في الفكر السياسي	23

القسم الأول

الحدود الفلسفية والسياسية

1. الطبيعة والأسطورة في جمهورية أفلاطون	69
2. الأساطير المؤسسة اليوتوبية لتوماس مور وفرانسيس بيكون	113
3. أسطورة من عصر التنوير: لايبنتز وحدود العقل	161

القسم الثاني

الأسطورة والحداثة

4. الميثولوجيا الجديدة للمثالية الألمانية	219
5. شيطان المدينة: كاسيرر؛ عن الأسطورة وأفلاطون	271
خاتمة	317

335		ثبت المصطلحات
345		ثبت الأعلام
359		المراجع
385		فهرس عام

شكر وتقدير

ثمة جزءٌ مني يريد أن يفكر في هذا الكتاب بوصفه نتاج عملية مركّزة وقصدية، إذ شرعتُ في كتابة كتاب وفعلتُ ذلك بالضبط. لكن الأمر يبدو، في الحقيقة، أشبه بنوعٍ من تذكّارٍ، عَرَضِيٍّ تقريباً، من رحلة إثراء فكري وشخصي أكبر وأشدّ غموضاً. لقد حالني الحظُّ، على نحوٍ غير مستحق، بثروة من الرفاق والموجّهين الذين التقيتهم في أثناء فترة اختمار هذا المشروع. لقد تركوا معاً بصمة ملموسة على الصفحات السابقة، والأكثر من ذلك، أنّهم علّموني أكثر ممّا يمكنني قوله عن القراءة والكتابة والتفكير وعن نفسي.

أعظم دين أدين به إلى مايكل روزن (Michael Rosen)، الذي دعم هذا المشروع منذ استهلالته الأولى حتى النهاية. لقد أثرى سخاؤه الفكري وحميميته وروح الدعابة لديه هذا الكتاب بطرائق تفوق ما يمكنني سرده. كما أضفى كلٌّ من نانسي روزنبلوم (Nancy Rosenblum) وإريك نلسون (Eric Nelson) ودانييل آلن (Danielle Allen) خبرته وفطنته المميزة على المشروع في أهمّ مراحل تطوره التكوينية. لقد كان هؤلاء الأربعة جميعهم مصدر إلهام دائم، وقد ساهمت أمثلتهم مجتمعةً في تحديد فكرتي عن النظرية السياسية في أفضل صورها.

واستفدتُ أيضاً من سخاء عددٍ من الموجّهين الذين لم يتوانوا يوماً عن تشجيعي بسخاء وثبات على مرّ السنوات. وأدين بشكر خاص إلى بيتر غوردون (Peter Gordon) الذي قرأ أجزاء واسعة من هذه المخطوطة مع أنّها كانت في حالات متفاوتة من الفوضى. إنني ممتنة، بصورة خاصّة، لتيريزا بيجان (Teresa Bejan)، وأليكس كوو (Alex Kuo)، وصوفي سميث (Sophie Smith)، وكذلك لإريك بيربوم (Eric Beerbohm)،

وسارة مورتيمر (Sarah Mortimer)، وشيريل ولش (Cheryl Welch)، وبرايين يونغ (Brian Young)، لصداقتهم وتوجيههم. يؤسفني أن الراحل باتريك رايلي (Patrick Riley) لم يتسنَّ له أن يراني وأنا أكمل الكتاب الذي كان داعماً له بشدة؛ وكسوف أعتزّ دومًا بذكرى ذلك الأصيل الذي شاركته فيه العنوان الأول للعمل: فعند سماعه، رنا ببصره إلى السقف، كما لو كان يستفتي السماء، وإذ توصل إلى استنتاج خصوصي بشأن الأمر، هنأني على الفكرة وصافحني.

يحمل هذا الكتاب، بوضوح، بصمة المحادثات التي أجريتها مع كثير من الزملاء والأصدقاء. إنني مدينة إلى جاكوب أبو العافية (Jacob Abolafia)، وأليكس تشادويك (Alex Chadwick)، وسيسيل لابورد (Cecile Laborde)، وديرين ماكليود (Derin McLeod)، وجو مولر (Joe Muller)، وعوديد نعمان (Oded Na'aman)، وبرناردو زَكا (Bernardo Zacka)، وسام زيتلين (Sam Zeitlin) لملاحظاتهم القيمة على الفصول الفردية. لقد أثَّرت أفكارني بالمطارات مع جوشوا بينيت (Joshua Bennett)، وجوناثان برونو (Jonathan Bruno)، وتشارلز كلافي (Charles Clavey)، وهانسون هسيونغ (Hansun Hsiung)، وجيني إيكوتا (Jennie Ikuta)، وريتا كوغانزون (غوردون)، وناكول كريشنا (Nakul Krishna)، ومات لانداور (Matt Landauer)، وتشارلي ليش (Charlie Lesch)، وبول لودج (Paul Lodge)، ودان لوبان (Dan Luban)، وكاليسو نيكولايدس (Kalypso Nicolaïdis)، وجنيفر بيج (Jennifer Page)، وزينب باموك (Zeynep Pamuk)، وآل بريسكوت-كوتش (Al Prescott-Couch)، وإليز رومياس (Elise Rouméas)، وريتشارد رذرفورد (Richard Rutherford)، وآميا سرينيفاسان (Amia Srinivasan)، وروبرت وات (Rob Watt). لم تقدّم أدريانا ألفارو (Adriana Alfaro) تعليقات على مقاطع عدة من المخطوطة فحسب، بل عملت أيضًا شريكة كتابة لا تعرف الكَلَل حينما كنّا نلتقي معًا خلال الفترة التي كان كلانا فيها يُنهي كتابه الخاص. إنني ممتنة أيضًا لجوش باتسون (Josh Batson)، وبول بيلينغهام (Paul Billingham)، وأبيغيل بوغلاس (Abigail Buglass)، وراين ديفيس (Ryan Davis)، وأوران دويل (Oran Doyle)، وشهاب الخشاب (Chihab El Khachab)، ومارك حنين (Mark Hanin)، وإيدي كين (Eddie Keene)، وبول كيري (Paul Kerry)، وجيلي كليغر (Gili Kliger)، وكيت كوول (Kit Kowol)، وجو لاهوس دو لالوفير (Joe La Hausse de Lalouvière)، وألين فلورنس مانان (Aline-Florence Manent)، وجيمي ماكسبادن

(Jamie McSpadden)، وروبي شاو (Ruby Shao)، وغابرييل واتسون (Gabrielle Watson)، لمساعدتي في تجربة بعض الحُجَج الواردة في هذه الصفحات مع جمهور ودود. أودُّ أيضًا أن أشكر المناقشين والمنظمين والجمهور في شتّى الملتقيات التي طرحت فيها موادَّ من هذا المشروع.

كنتُ، في أثناء البحث والكتابة، محظوظةً بالحصول على دعمٍ مادي من مركز هارفرد صفرا للأخلاقيات (Harvard Safra Center for Ethics)، ومركز هارفرد ماهيندرا للعلوم الإنسانية (Harvard Mahindra Humanities Center)، والأكاديمية الأميركية للفنون والعلوم (American Academy of Arts and Sciences)، إضافةً إلى صندوق غيتس-كامبردج (Gates-Cambridge Trust)، والهيئة الألمانية للتبادل العلمي (DAAD) (Deutscher Akademischer Austauschdienst)، ومؤسسة دان ديفيد (Dan David Foundation). لقد منحتني جامعة كاليفورنيا سانتا باربرا (Santa Barbara) بدايةً مؤجلةً لمدة عامٍ في حين كنتُ أضع اللمسات الأخيرة على هذا الكتاب. ثمّة كلمة شكر خاصة إلى مركز هارفرد للدراسات الأوروبية (Harvard Center for European Studies)، الذي وجدت فيه ملاذًا في وقت كنتُ أحتاج إليه بشدة، وإلى كنيسة المسيح (Christ Church) في أكسفورد، حيث تعلمتُ المعنى الحقيقي للمجتمع. وأنا ممتنةٌ لإليزابيث جونسون (Elizabeth Johnson)، وجان كلود مونديسير (Jean-Claude Mondesir)، وأنا بوبييل (Anna Popiel)، وساندي سيليسكي (Sandy Selesky)، وبتر ستيفنز (Peter Stevens)، وآن باريت (Ann Barrett)، وآدم بيلي (Adam Bailey)، وتريفور جونز (Trevor Jones)، لمنحهم إياي مأوى عندهم.

قدّم أنغوس نيكولز (Angus Nicholls) ومُراجعٌ إضافي مجهول الهوية من مطبعة جامعة هارفرد ملاحظاتٍ لا تقدر بثمن على المخطوطة، في حين ناصِر محرّري الصُّبُور، إيان مالكولم (Ian Malcolm)، المشروع حتى اكتماله. نُشرت مقاطع من الفصل الأول أول مرة في [مقالتي] "أسطورة إر لأفلاطون وإعادة ضبط الطبيعة"⁽¹⁾. أشكر المجلة على إتاحتها الفرصة لي لعرض بعض هذه الأفكار لأول مرة هناك.

(1) Tae-Yeoun Keum, "Plato's Myth of Er and the Reconfiguration of Nature," *American Political Science Review*, vol. 114, no. 1 (2020), pp. 54-67.

أما بالنسبة إلى الصداقات التي دعمتني على مدار هذه السنوات، فأنا مدينة بالشكر لكريستينا ألمانداريز (Cristina Almendarez)، وويلما بينبريدج (Wilma Bainbridge)، وتيم بارندت (Tim Barendt)، وجوش إيرليش (Josh Ehrlich)، وسام فيرغسون (Sam Ferguson)، وداشا لوشينسكايا (Dasha Luchinskaya)، وبالتازار مولر (Balthasar Muller)، وجيني أوليفر (Jenny Oliver)، وهانا شيبيرد (Hannah Shepherd)، ومايك سميث (Mike Smith)، وبرين سباتوكو (Brian Spatocco)، وجورج يين (George Yin)، وإروين زيد (Irwin Zaid). كما استضافتني أوغستا أوبفرمان (Augusta Opfermann) بسخاء في برلين، كذلك فعل نيك ستون-فيلاني (Nick Stone-Villani) وجانيت تشاو (Janette Chow) في أكسفورد (حتى انتهى بي الأمر إلى المكوث). وساعدني كل من آنيس بورينسكي (Agnes Borinsky)، وجاكوب إيغن (Jacob Eigen)، وأن فاديمان (Anne Fadiman)، ومات كوزلارك (Matt Kozlark) من خلال أمثلتهم على رفع كتابتي وتدريسي إلى مستوى أعلى. أنا مدينة بعمق لنورما طومسون (Norma Thompson)، وكذلك لكارول جاكوبس (Carol Jacobs) وتيم روبنسون (Tim Robinson) لوضعي على هذا المسار. وأشكر جون تمبلمان (Jon Templeman) لمساعدتي في اجتياز خط النهاية، ولغير ذلك الكثير.

ظلت ماريان باور (Marianne Bauer)، على مدى السنوات الإحدى عشرة الماضية، محاورتي في جميع مسائل العقل والقلب والروح. لقد بدأ الكثير مما تضمّنته هذه الصفحات كأفكار شبه مكتملة مكتوبة في رسائل إلكترونية أرسلتها إليها.

أخيراً، أنا ممتنة لعائلتي: لأختي الملهمتين، بي-سوون (Bee-Seon) وبو-وون (Bo-Won)، ولوالدي، اللذين لم أتمكن قط من أن أشرح لهما ما كنت أكتب عنه، لكنهما لم يشككا ولو للحظة في أنه كان شيئاً يستحقّ العناء. لقد أصبح هذا الكتاب ممكناً بفضل دعمهما الهادئ من بعيد.

مقدمة المترجم

أفلاطون وراهنية العلاقة بين الأسطورة والسياسة

على الرغم من كون هذا الكتاب أول مؤلفات الدكتورة تاي-ييون كيوم (Tae-Yeoun Keum)، فإنه قد جذب اهتمامًا واسعًا في الأوساط الأكاديمية لما فيه من قراءة جديدة وعميقة لفهم كيفية توظيف أفلاطون، وورثته من السياسيين والفلاسفة، للأساطير كوسيط فلسفي غني، وهي التي كان يُنظر إليها تقليديًا بأنها خارج مجال العقلانية، إضافة إلى أنها أعادت في كتابها هذا النظر في التناقض بين الأسطورة والعقلية السياسية الحديثة.

تاي-ييون كيوم باحثة سياسية بارزة في مجال النظرية السياسية، تتميز بإسهام فريد في إعادة التفكير في مكانة الأسطورة في الفكر السياسي، لا بوصفها موضوعًا تاريخيًا وحسب، بل بوصفها وسيطًا فلسفيًا ومعرفيًا أيضًا. حصلت على درجة الدكتوراه من جامعة هارفرد في عام 2017، ونالت جائزة ليو شتراوس لعام 2018 عن أطروحتها، وهي جائزة مرموقة تُمنح لأفضل أطروحة دكتوراه في الفلسفة السياسية. وأصبحت بعدها زميلة باحثة في جامعة أكسفورد قبل أن تنتقل إلى منصب أستاذ مساعد في قسم العلوم السياسية بجامعة كاليفورنيا، سانتا باربرا. ونشرت في عام 2020 كتابها هذا بعنوان أفلاطون والتقليد الأسطوري في الفكر السياسي (*Plato and the Mythic Tradition in Political Thought*)، وهي تعمل منذ سنوات في مشروع حول هانز بلومنبغ، المُجدّد في فلسفة الأسطورة، لتعميق فهمنا لكيفية استمرار الأسطورة قوةً مشكّلةً في السياسة الحديثة، فضلًا عن نشرها أبحاثًا ودراسات نقدية وأكاديمية في مجلات محكمة، ولا سيّما في مجال الردّ على النقد حول مفهوم الأسطورة.

تسعى تاي-يوون كيوم لإعادة بناء الصورة الضبابية والملتبسة عن الأسطورة في النظرية السياسية المعاصرة، منتقدةً التنظير السياسي الذي يتبنّى عقلانية صارمة تُقصي الأسطورة وتعدّها خطرًا، وقد كثّفت رسالتها في هذا الكتاب، وفي كتاباتها الأخرى، بأنّ العقلانية وحدها لا تكفي لفهم السياسة، وبأنّه لا بدّ من الإقرار بمكان ما للأسطورة، لا بوصفها مجردّ فانتازيا بعيدة عن الواقع، بل بوصفها نوعًا معرفيًا رمزيًا يمنحنا فهمًا أعمق للعالم والذات والمجتمعات المتنوّعة.

مقدمة

استمرّت الأسطورة ملازمة للإنسان منذ أن خطا خطواته الأولى نحو تنظيم حياته في جماعات بشرية، واتّخذ وجودها طابعًا تناقضيًا؛ فمن جهة أولى منحته معنىً لوجوده، وشكّلت مخزونًا من الصور والرموز التي ساهمت في تماسك الجماعات، لكنّها من جهة أخرى اتّهمت بأنّها تُعطل ملكة النقد، وتفتح الباب أمام تعاظم حضور المعاني الخرافيّة في حياة الفرد والجماعة، فضلًا عن تمهيد الطريق للاستبداد وخدمته. لذلك، لم يكن مستهجنًا أن يُنظر إلى الأسطورة في كثير من النقاشات الفلسفية والسياسية الحديثة بوصفها عدوًّا للعقل والتقدّم والحرية. مع ذلك، فإنّ حضورها المستمرّ في الحياة السياسية والثقافية المعاصرة يشير إلى أنّه ليس في إمكان البشرية التخلّص منها فعليًا، وأنّها مكوّن بنيوي في الوعي الجمعي لا فكاك منه.

ينطلق هذا الكتاب من محاولة فهم هذه الإشكالية أو الثنائيّة التناقضيّة عبر استكشاف الإرث الأفلاطوني، وموقع الأسطورة فيه ووظائفها؛ فعلى الرغم من أنّ صورة أفلاطون الراسخة في الوعي الفلسفي هي صورة المعلّم العقلاني الذي دشّن انتقال الفكر من عالم الميثوس إلى عالم اللوغوس، فإنّ مؤلفاته نفسها تحمل في ثناياها عددًا كبيرًا من الأساطير التي نظر إليها، وتعامل معها، بوصفها أدوات للتفكير والحجاج العقلي، لا بوصفها مجردّ زخارف أدبية. فقد وظّف الأسطورة في نصوصه الفلسفية للشرح أو للتحفيز أو لتجاوز حدود البرهان العقلي، وهذا التوتر أو التناقض بين عقلانية المشروع الفلسفي الأفلاطوني وحضور الأسطورة فيه هو البوابة التي تضعنا على طريق فهم العلاقة الملتبسة بين الفكر السياسي والأسطورة.

الأسطورة حاضرة في قلب الحداثة

ينظر كثير من الباحثين إلى تاريخ الفكر الغربي بوصفه حركة ذات مسار خطي تقدّمي من الميثوس إلى اللوغوس، أي من الأسطورة إلى العقل. غير أنّ هذه السردية تبسيطة إلى حدّ بعيد، ولا تشكّل أكثر من قشرة سطحية تُخفي تحتها حقيقة أكثر تعقيداً؛ فالأسطورة لم تغب في الثقافة الغربيّة، وظلّت حاضرة بقوة في الحياة الاجتماعية والسياسية، لكن مع تغيّر أشكالها وتجلياتها ووظائفها. ويمكننا استكشاف فاعليتها وتأثيرها، حتى في المجتمعات الحديثة التي وصلت إلى مراحل متقدّمة من العقلانية، على مستويات متنوّعة، مثل اللغة اليومية، والرموز السياسية، والتفكير الجمعي في الهوية والمستقبل. فالأسطورة ليست مجرد بقايا ماضي، بل قوة قادرة على العودة بأشكال مختلفة كلّما احتاجت الجماعات البشرية إلى أسانيد رمزية.

لذلك، أشار كثيرٌ من الباحثين إلى أنّ الحداثة لم تقطع مع الأسطورة، بل أعادت إنتاجها بطرائق متنوّعة، وطرحتها في صورٍ جديدة؛ فالدعاية النازية في ثلاثينيات القرن العشرين وأربعينياته مثلاً وظّفت رموزاً رومانية قديمة لشحن مشروعها السياسي بإيحاءات قدرية، وإضفاء مسحة من الحتميّة المصيريّة عليه، ومثلها فعلت القوميات الحديثة عندما اختارت رموزاً من الماضي لتمنح مشروعها شرعيّة تاريخية متخمة بالمشاعر والعواطف، ما يعني أنّ التقدّم على مستوى العقلانية لم ينفِ الحاجة إلى سرديات جماعيّة غايتها تعبئة البشر وضمان دعمهم لمشروع سياسي معيّن، بل إنّ التقدّم العقلاني سعى لإعادة توظيف السرديات القديمة مستخدماً وسائل جديدة.

الأسطورة: خصمٌ للعقل الحديث أم رفيقٌ للوجود البشري؟

هناك تيار واسع في الفكر السياسي يرى أنّ استمرار حضور الأساطير، بوصفها بقايا أوليّة من عصور خلت، في الوعي العام دلالة على أنّ مشروع الحداثة لا يزال ناقصاً، ومن ثمّ يشير إلى ضرورة تحرير المجتمعات من تلك الأساطير، وإحلال العقل النقدي محلّها كي تتقدّم البشرية باتجاه حداثة حقيقية، ما يعني أنّ هذا التيار ينظر إلى الأساطير من زاوية كونها طفولة إنسانية يجب تجاوزها وحسب. وتجد هذه الرؤية جذورها في القرن الثامن عشر مع فلاسفة التنوير الذين رسموا مساراً خطياً

للتقدّم والحدّاة يبدأ من الأساطير وتعدّد الآلهة، ثمّ التوحيد والميتافيزيقا، وصولاً إلى العلم الحديث. لكنّ هذه الرؤية، على الرغم من وجاهتها وحضورها الواسع في آن، قد أثبتت قصورها في القرن العشرين بوصول سلطات شمولية إلى الحكم في أوروبا ذاتها، واستخدامها أساطير متنوّعة بفاعليّة لتسويغ سيطرتها وهيمنتها.

في مقابل التيار السابق، هناك تيار آخر ينظر إلى الأسطورة بوصفها جزءاً من الطبيعة البشرية لا يمكن تجاوزه، لأنّ البشر لا يكتفون بالحقائق الواقعية، بل يبحثون عن المعنى والرمز والخيال، وهذا أحد الدوافع الرئيسية لقابلية الأسطورة للحياة دائماً في وعي البشر، أكانوا في مجتمعات تقليدية أم حديثة. ويرى كثيرون أنّ اللاوعي الجمعي للبشر يميل عمومًا إلى خلق الرموز وصناعة الأساطير على نحو مستمرّ، وأنّ هذا الميل متوافق مع طبيعة الإدراك الإنساني ذاته، ولا يشير إلى وجود تخلف حضاري بالضرورة، بل إنّ اللغة الفلسفية ذاتها ليس في إمكانها الاستغناء عن الصور المجازية ذات الأساس الأسطوري. ولذلك، فإنّ القطيعة التي يُقال عنها بين الأسطورة والعقلانية هي أحد أوام الحداثّة؛ فالأسطورة لم تكن يوماً عدوًّا للعقل أو عائقًا أمامه، بل على العكس، كانت شريكة له في إنتاج صور جديدة للعالم والسياسة والمعرفة.

لقد استُخدمت الأسطورة مثلاً بوضوح كأداة في التعبئة السياسية؛ فالحركات الاجتماعية لا تُبنى على أسس عقلانية أو مصالح مادية وحسب، بل إنّها تحتاج إلى رموز وصور وأساطير ملهمة قادرة على تحشيد البشر ودفّعهم إلى النضال الجماعي والتضحية بأنفسهم، ولذلك يُنظر إليها بوصفها إحدى أدوات التغيير وصناعة التاريخ، لكنها قد تُستخدم إما لتحقيق التحرّر والمصالح العامة، وإما لتسويغ القمع والمحافظة على الأوضاع القائمة.

أفلاطون والتوتّر بين الأسطورة والفلسفة

تعود أهمية استحضار أفلاطون في هذا الكتاب إلى أنّه هو نفسه قد جسّد هذا التوتّر بين الميثوس واللوغوس؛ فأفلاطون، كما هو معروف، قد ساهم في وضع أسس التفكير العقلاني والحجاج المنطقي، لكنّه لم يتردّد في استخدام أساطير معيّنة، مثل أسطورة الكهف وأسطورة إر، لأغراض تعليمية من جهة، ولتجاوز حدود البرهان العقلي نحو أفق يتعلّق بالمعنى والغاية من جهة ثانية.

لقد شكّلت علاقة أفلاطون بالأسطورة نوعاً من الالتباس والإشكال. فقد فسّر كثيرون حضورها في كتاباته بأنها ليست أكثر من أدوات بلاغية لجأ إليها عندما كان عقله البرهاني يعجز عن بلوغ الغاية، أو حين كان يخاطب جمهوراً أوسع من المتخصّصين في الفلسفة. غير أنّ هذا التفسير لا يُنصف نصوص أفلاطون، ولا يفسّر طابعها المركّب، لأنّ حضور الأسطورة في الحوارات ليس زخرفاً أدبياً ولا استطراداً سرديّاً، بل هو جزءٌ من البنية العميقة التي يقوم عليها مشروعه الفلسفي. لقد أدرك أفلاطون أنّ العقل وحده، بما هو قياس برهاني صارم، غير كافٍ لفتح أفق جديد للوجود المشترك، وأنّ ثمة حاجة إلى لغة أخرى قادرة على استيعاب ما يتجاوز مفهومات العقل المحض، ومن ثمّ منح صورة حسيّة تخيليّة لما لا يمكن القبض عليه بالمقولات العقلانية.

هذه الأساطير إذاً ليست إضافات تجميلية، بل مفاتيح لفهم فلسفة أفلاطون ونظريته في المعرفة والسياسة. فإذا كان العقل الفلسفي يُقيم صرح الحقيقة على العقل النقدي والحجاج المنطقي، فإنّ الأسطورة تمنحه عمقاً شعورياً وتجنّزاً في الوجدان، وتفتح للفيلسوف طريقاً إلى أمكنة لا تصل إليها الحجّة البرهانية. لذلك، فإنّ إرث أفلاطون يصلح لأن يكون بوابة لقراءة علاقتنا المعاصرة بالأسطورة، لأنّه يذكّرنا بأنّه لا يمكن عزل الفلسفة تماماً عن الأساطير والخيال والسرديات الرمزية، وأنّ البشرية في حاجة إلى الخيال بقدر حاجتها إلى العقلانية.

لقد أدرك خلفاء أفلاطون، في العصور اللاحقة، هذه الأبعاد المركبة للأسطورة، فحافظوا عليها وإن بصور مختلفة؛ ففي العصور الهيلينية والرومانية، أُعيدت قراءة أساطير أفلاطون في ضوء تأويلات دينية وصوفية، بينما وجد لاهوتيّ العصور الوسطى في الأسطورة مادةً رمزيّة تساعد في شرح العقائد الكبرى بلغة أقرب إلى اللغة العامة والمخيال الجمعي. ثم جاء عصر النهضة والحداثة المبكرة ليُعيد استحضار هذا الإرث من زوايا جديدة: إعادة بناء حلم جمهورية بديلة بأسلوبٍ سرديّ، أو توظيف الخيال الرمزي لبناء تصوّر عن العلم والحداثة والمجتمع، أو تفسير مفهومات عقلية مجرّدة وتقديمها في صورٍ يمكن العقل أن يتلقّاها بوضوح ويسرّ.

شغلت الأسطورة، في القرن التاسع عشر، مع الفلسفة الألمانية الكلاسيكية والرومانسية، موقعاً مركزيّاً في إعادة التفكير في مسألة اللغة والخيال والتاريخ. فقد

رأى بعض الفلاسفة أنَّ الأسطورة والشعر يشكِّلان ينبوع الأصيلي للغة، وأنَّ كل فلسفة سياسية لا بدَّ لها من أن تعود إلى هذا ينبوع إن هي أرادت الاقتراب من جوهر الوجود الجماعي، لأنَّهما، أي الشعر (والفن عمومًا) والأسطورة، يخلقان دائمًا إمكاناتٍ بديلةً لإعادة تشكيل الوعي الجمعي.

لقد مثَّلت هذه العودة إلى الأسطورة، في قلب الفلسفة المثالية والرومانسية، إعادة اكتشاف لبعد الوعي الجمعي الذي وضعه أفلاطون ولم يُفهم على حقيقته لقرون طويلة. لكنَّ الوجه الآخر من هذه العودة لم يخلُ من المخاطر والسلبيات؛ فحين دخلت الأسطورة إلى معترك السياسة الحديثة، كان ذلك على حساب العقل النقدي في بعض الأحيان. هنا تبرز أمثلة القرن العشرين، حيث تحوَّلت الأساطير القومية إلى أدوات تعبئة أيديولوجية خطيرة، كما شهدنا في الأنظمة الشمولية التي صاغت أساطير عن العرق أو الأمة أو القائد لتسويغ سلطتها وهيمنتها.

وقد وقف عددٌ من المنظرين والفلاسفة، مثل أعضاء مدرسة فرانكفورت، في مواجهة هذا الاستخدام الخطر والمظلم للأسطورة، وحذَّروا من أنَّ الأسطورة قد تجد سبيلها إلى العودة في صميم العقل ذاته؛ فالعقل الذي يتوقَّف عن نقد نفسه لا يطرد الخرافة بل يُعيد إنتاجها في صور أكثر فاعليَّة وأشدَّ خطورة. ومن هنا جاء الحذر المفرط من أي حديث عن الأسطورة في الفلسفة السياسية المعاصرة، إذ ارتبطت في العقل النقدي باللاعقلانية وبخطر الانزلاق نحو الشمولية.

مع ذلك، يبقى من الضروري التمييز بين توظيف الأسطورة بوصفها أداةً للإقصاء والسيطرة، وبين فهمها بوصفها وسيطًا للتعبير الرمزي والتخييلي عن إمكانات جديدة للوجود السياسي. فإذا كانت الأسطورة قادرة على أن تسحر البشر وتستلبهم وتعبئهم، فإنَّها قادرة أيضًا على أن تفتح آفاقًا لمعاني جديدة تتجاوز الحدسي واليومي والمباشر. إنَّها تمنح الخيال السياسي طاقة إبداعية، وتُتيح إعادة تخيل الحرية والعدالة والتقدُّم والحركات الاجتماعية بطرائق لا يستطيع العقل المجرَّد وحده أن ينتجها.

إنَّ قراءة إرث أفلاطون في ضوء هذه الاعتبارات تكشف عن درس مزدوج: فمن جهة، ليس في إمكان الفلسفة السياسية الاستغناء عن الأسطورة أو استبعادها، لأنَّها اللغة التي تخاطب بها الأرواح والوجدان والخيال الجمعي، ومن دونها تبقى المفاهيم الفلسفية مجردة وعاجزة عن التحول إلى قوة فاعلة في حياة البشر والتاريخ.

ومن جهة أخرى، يجب أن يُعاد التفكير في الأسطورة لا بوصفها بنية مغلقة تحكّم الأذهان وتتحكّم فيها، بل بوصفها بنية مفتوحة على النقد وإعادة الخلق والتشكيل، بحيث تُستثمر طاقتها الرمزية في سبيل تحرير الإنسان لا استعباده. هذان البعدان، معاً، يحدّدان الموقف الفلسفي المطلوب اليوم تجاه الأسطورة، بل والسياسي أيضاً؛ أي التعامل النقدي معها بدلاً من استبعادها أو التسليم بها.

راهنيّة موضوع الأسطورة في السياسة

كما أشرنا سابقاً، لم تختفِ الأساطير من حياة المجتمعات البشرية، بما فيها المتقدّمة منها، بل إنَّها تُعيد دائماً تشكيل نفسها بصور متنوّعة وطرائق مختلفة، وإنَّ النظر إليها بوصفها مناقضة للعقلانية وحسب، ومن ثمَّ تجب إزاحتها، يتغافل عن وظائفها الاجتماعية والسياسية المستمرّة. فهي، على الرغم من مخاطرها، تؤدي دوراً لا يمكن الاستغناء عنه في بناء الوجدان والمعاني المشتركة. إنَّ إدراك هذين البعدين للأسطورة يسمح لنا بمقاربة أكثر تواضعاً وإنصافاً وعقلانية؛ فبدلاً من السعي لاستئصالها، يمكننا أن نتعلّم كيفية التعامل معها بوعي وحذر، ومن ثمَّ التمييز بين استخدامها البناء والمثمر واستخدامها الهدّام والمخرّب.

تعود اليوم، في ظلّ الأزمات العميقة التي يعيشها العالم، الأساطير والشعبيّات بأشكال جديدة، أكانت على مستوى خطاب القوميّات أو الشرعيّات الدينية أو على مستوى سرديّات السوق الرأسمالي، أو الفتوحات التكنولوجية، أو حتى على مستوى الوعود التي يُطلقها الذكاء الاصطناعي بعالم ما بعد إنساني، كما تطلّ السرديّات المبنية على الماضي وحكاياته وقصصه وشخصيّاته ورموزه برأسها لتصبح محور اهتمام قطاعات واسعة من البشر في مناطق مختلفة من العالم، وعلى مستويات مختلفة مثل السياسة والثقافة والهوية والخيال الجمعي. لكنّ هذه الأساطير، القديمة والمعاصرة منها، وإن ارتدت لبوساً عقلانيّاً أو علميّاً أو تقنيّاً في بعض الأحيان، تظلّ تعمل في البنية الرمزيّة ذاتها التي فضّل فيها أفلاطون؛ تمنح صوراً متخيّلة للقيم الإنسانيّة مثل الحرية والعدل والاعتاق والخلاص، ولمعايير التقدّم والتحرّر، وتعيد تشكيل الوعي الجمعي على نحو عميق.

لا شكّ في أنّ الغاية المبرّرة من هذا الحضور الكثيف لهذه الأساطير والشعبيّات والسرديّات هي تعبئة "الجماهير"، ودفعها لتخدم مشروعات سياسية متنوّعة، بعضها

مشروع، وأكثرها مضلل، وزائف، وخطر، ما يجعل من عملية فهم الأسطورة ودورها وحدودها وعلاقتها بالعقل مسألة معرفية وسياسية ملحة وضرورية. لذلك فإن استعادة البعد الفلسفي للأسطورة، بوصفها مجالاً للتخييل والرمز، تصبح ضرورة لمواجهة هذه التحولات. لا يكفي نقد الأساطير المعاصرة وتفكيكها وإظهار زيف كثير منها، بل لا بدّ من إعادة إنتاج أساطير بديلة، قادرة على فتح آفاق لمعانٍ جديدة تخدم البشرية، وتسهم في تحرير الخيال السياسي من الاستلاب.

هنا يغدو تناول إرث أفلاطون ومشكلة الأسطورة وثيق الصلة بمشكلات عصرنا ونقاشاته الحاضرة والملحة، لا مجرد عمل بحثي يتناول أفكاراً كتبت في الماضي؛ فالأسطورة ليست مجرد صفحة طويت في غياهب العصور القديمة أو طفولة بشرية انتهت، إذ إن استمرارها مؤثرة وفاعلة في العقل الجمعي ليس له من معنى سوى تثبيت حقيقة أنّ العقل وحده غير كافٍ، وأنّ السياسة، لكي تكون إنسانية، تحتاج إلى توازن بين العقل والخيال أو في الأحرى بين العقلانية الصارمة والمخيال الثري والمبدع. وهكذا، يتّضح أنّ الإرث الأفلاطوني يمنحنا مفاتيح لفهم هذا التداخل بين الأسطورة والعقل الفلسفي أو بين الأسطورة والسياسة، ولذلك إذا أردنا أن نُعيد التفكير في الفلسفة السياسية المعاصرة، فإنّه ينبغي لنا إعادة النظر في موقع الأسطورة فيها، لا بوصفها مجرد بقايا من عصر ما قبل العقل، بل بوصفها قوة حيّة تسكن في أعماق اللغة والوجدان والخيال، وتمنح الفلسفة والسياسة معاً قدرات متجددة على الخلق والبناء.

لا يمكن، في الحقيقة، لأيّ مشروع إنساني ديمقراطي أن يجد طريقه إلى التجسّد والترسّخ إذا تجاهل قوة تأثير المخيال الجمعي، بل إنّ المطلوب هو الإقرار بقوته، والعمل على إعادة تشكيله، وتوجيهه بما يخدم قيم الحرية والعدالة بدلاً من تركه رهينة التيارات الشعبوية والاستبدادية التي تمارس الخداع والتضليل.

إنّ ما يسعى له هذا الكتاب هو قراءة إرث أفلاطون، لا بوصفه أيقونة للعقل الخالص، بل بوصفه فيلسوفاً أدرك حدود العقل وضرورة الخيال، ومن ثمّ إيضاح أنّ الأسطورة ليست غريبة عن السياسة الحديثة، بل جزء لا يتجزأ منها، وأنّ الطريق إلى ديمقراطية حقيقية وراسخة لا يمرّ عبر إنكار الأسطورة واستبعادها بل عبر وعيها وإدراك فاعليتها، ومن ثمّ إعادة توظيفها بما يخدم هذا الطريق.

في ترجمة هذا الكتاب

إنَّ ترجمة كتاب يتناول فلسفة أفلاطون والتقليد الأسطوري في الفكر السياسي ليست مهمةً يسيرة، بل هي أشبه برحلة فكرية ولغوية داخل متاهة تشابك فيها المفاهيم والتصورات، القديمة والحديثة، مع أسئلة الفلسفة المعاصرة وقضايا السياسة الراهنة. ذلك أنَّ الأسطورة، ولا سيَّما السياسية منها، أدَّت وما زالت تؤدِّي دورًا محوريًّا في تشكيل الوعي العام وصوغ المخيال الجمعي، وهو ما يجعل مقارنة نصِّ كهذا تتجاوز بالتأكيد حدود الترجمة التقنية لتلامس مهمَّة ثقافية وفكرية أوسع.

تتجلَّى المعضلة الكبرى في كيفية نقل هذا المزيج المعقّد من الفلسفة والرموز الأسطورية والتصورات السياسية بلغة عربية واضحة وسلسة، من دون أن يفقد النصُّ متانته وأصالته. هنا يواجه المترجم تحدّيات متعدّدة: فالمصطلحات الفلسفية لا تُستفد في معنى واحد، بل تتسع لظلال دلالية مختلفة، ما يفرض على المترجم البحث عن المقابل الأدق، وأحيانًا الاحتفاظ بالمصطلح الأصلي مع شرح موجز في الهوامش. كذلك برزت الحاجة إلى تثبيت المصطلحات عبر النص، وإلى استخدام عددٍ كبيرٍ من الحواشي لتوضيح الخلفيات التاريخية والثقافية لبعض المصطلحات والمؤلَّفات والأعلام والأحداث التاريخية.

ولعلَّ الضرورة اقتضت أيضًا تخصيص ملحِقٍ للكتاب يعرّف بإيجاز أبرز الفلاسفة والمفكرين الذين يستند إليهم نصُّ الكتاب، بما يتيح للقارئ رؤية أوضح لتسلسل الأفكار وتطوّرها عبر الزمن، والتعرّف إلى مدارسهم الفكرية وعصورهم وبعض أعمالهم بصورة موجزة، فضلًا عن تزويد الكتاب بملحق آخر هو عبارة عن معجم مصغّر يحتوي الترجمات المستخدمة لبعض المصطلحات والكلمات الضرورية الواردة في النصّ.

لم يكن من الممكن إنجاز هذه المهمة من دون الاطلاع على ترجمات أكاديمية سابقة، لاستخلاص أفضل الحلول للمفاهيم والمصطلحات الشائكة والراكيب الدقيقة. وفي بعض الحالات، كان من الضروري اللجوء إلى الترجمة التفسيرية لتيسير الفهم، أي الترجمة التي تعتمد شرح الفكرة الواردة في النصّ، بدلًا من إرهاق القارئ بمصطلحات جديدة ما زالت تحتاج إلى مؤسَّسات ثقافية لاعتمادها وتثبيتها في المعاجم العربية.

إنَّ طبيعة النصِّ نفسه تزيد من صعوبة الترجمة، إذ يجمع بين التحليل الجدلي الصارم والسرد الأسطوري الغني بالرموز والتأمل البلاغي، ما يفرض على المترجم تحقيق توازنٍ دقيقٍ بين وضوح المعنى وسلاسة الأسلوب وإيقاع اللغة. وقد اعتمدت لتحقيق ذلك آلياتٌ عدة، أبرزها الاستعانة بمصادر إضافية مترجمة إلى العربية، تناولت فلسفة أفلاطون وغيره من الفلاسفة، والأساطير المرتبطة بهم، للاستفادة من مخزونها الاصطلاحي، ولتيسير فهم الأمثلة الأسطورية التي يُوردها الكتاب. ولم تخلُ التجربة من صعوباتٍ إضافية، مثل الحاجة إلى توحيد كتابة أسماء المفكرين والفلاسفة، وعددهم كبير جدًا في الكتاب، بما يراعي الشائع في العربية ويقارب نطقها الأصلي، أو التعامل مع هوامش وردت بلغات أخرى، مثل الألمانية والفرنسية واليونانية القديمة، التي استشرت في ترجمتها أصدقاء متمكّنين.

إنَّ ترجمة النصوص الفلسفية بوجهٍ عامٍّ ليست مجرد نقل للمعنى، بل هي فعل تأويل وتفكيك وبناء معرفي جديد. وفي حالة أفلاطون، تتضاعف الصعوبة لأنَّ نصوصه لا تقتصر على الفلسفة الخالصة، بل تمزجها بالسرد الأسطوري والرموز والبلاغة الأدبية، ولذلك لجأت في بعض الأحيان إلى نوعٍ من الترجمة التفسيرية التي توضح المعنى، بدلًا من الترجمة الحرفية الجافة، مع المحافظة على الدقة والسلاسة.

كانت ترجمة هذا الكتاب، من هذا المنظور، رحلة فكرية وبحثية، بقدر ما كانت لغوية، سعت إلى أن تكون أمينة لوظيفة الترجمة المتمثلة في محاولة الإسهام في بناء جسر بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى، وأن تفتح أمام القارئ العربي نافذة على الأسئلة المركزية في الفلسفة والفكر السياسي، كما صاغها أفلاطون وأعاد قراءتها المفكرون من بعده. والغاية أن يكون النصُّ المترجم نصًّا حيًّا، يثري قارئه، ويثير لديه تساؤلات جديدة، في الفكر والأسطورة والسياسة على حدٍّ سواء.